

مصحف عدي باشا بالجامع الكبير في الجزائر المحروسة - دراسة فنية تحليلية

د. نبيلة حساني *

كان اهتمام السلاطين والأمراء بصناعة المخطوط الإسلامي الأثر الأكبر في تحسين الخط العربي و تقدم فن الجمال والزخرفة. وأعظم المخطوطات شأنًا من الناحية الفنية في الجزائر المحروسة في العصر العثماني هي مخطوطات المصاحف التي كانت تُذهب وتُزين بأدق الرسوم وأبدعها ، وكان تعظيم القرآن الكريم يدفع كثيرًا من الفنانين إلى العناية بتذهيب المصاحف، فأقبل بعض الباشاوات والعلماء وكبار رجال الدين والأدب على تحسين الخط والزخرفة والتجليد وتعلم فن التذهيب وكانت لمساعدتهم المادية والمعنوية للمذهبين أكبر الأثر في إخراج أعظم مخطوطات المصاحف. من النماذج المذهبة التي وصلت إلينا مخطوطة مصحف جامع الكبير بالجزائر المحروسة و المعروفة بـ : " مصحف وقف عدي باشا " الموجود بالمتحف الوطني للآثار الإسلامية بالجزائر العاصمة . من الأساليب الفنية التي ارتبطت بهذا المصحف تذهيب بعض صفحاته أو بتذهيبه كله، وكان الخطاط يتم المصنف تاركًا فيه الفراغ الذي يطلب منه في بعض الصفحات لترسم فيه الأشكال النباتية والهندسية المذهبة، أو تنقش فيه صور ذات صلة معينة بالمخطوط ، وقد لا يكون لبعضها أي صلة قريبة، فيكون الغرض من رسمها تجميل المخطوط فحسب ، و في مثل هذه الأحوال قد تكون الصورة منقولة عن مخطوط آخر، وكان تذهيب المخطوطات يمر بعدة مراحل أولها يسند إلى فنان اختصاصي في رسم الهوامش وتزيينها بالزخارف ثم ينتقل المخطوط إلى فنان آخر يقوم بتذهيب هوامشه وصفحاته الأولى وكذلك صفحاته الأخيرة وبداية فصوله وعناوينه ، وكانت الرسوم النباتية والهندسية المذهبة في المخطوطات تصل إلى أبعد حدود الإتقان، حين بلغت الغاية في الاتزان والدقة وتوافق الألوان، وتتم عملية التذهيب باستخدام مادة الذهب في كتابة وتزيين أوائل المصحف وأواخره وفي تذهيب الجلد، وقد يشمل التذهيب جزءًا من المخطوط أو كله ويمكن أن تكون مادة الذهب المستعملة عبارة عن شكل أوراق، أو صفائح تسخن وتخنم بواسطة أختام خاصة ، كما يمكن استخدام الذهب كمادة للكتابة والزخرفة ، وذلك عن طريق وضعه في إناء يضاف إليه الملح والعسل، ثم يوضع على النار حتى يهيا ، بعدها يترك مدة من الزمن في إناء خاص ، وهو ما يسمى بحل الذهب، ويكتب به بعد ذلك، وهو ما يعرف بالكتابة بماء الذهب.

* جامعة الجزائر - ألقى ملخص البحث ولم يقدم البحث للنشر بكتاب مؤتمر ٢٠١٢ م .